

العمارة النوبية ودورها في الحفاظ على الهوية النوبية

أحمد محمود حسن بكار،* عبد الرحيم تمام ابو كريشة،** سعد عبد المنعم بركة،***
محمد عبد الرازي محمود،****

المستخلص

يتناول هذا البحث بصورة اساسية العمارة النوبية، ويوضح البحث العمارة النوبية التي تعكس الثقافة المادية النوبية، فالعمارة النوبية مرتبطة بالثقافة الشعبية ومرتبطة بالعادات والتقاليد الثقافية، وتعتمد العمارة على الرموز المستقلة. ويهدف البحث الى التعرف على دور العمارة النوبية في الحفاظ على الهوية النوبية وافترض الباحث انه توجد علاقة بين العمارة النوبية والهوية النوبية. ويتضمن هذا البحث ثلاثة اقسام، القسم الاول شكل البيوت من الخارج ، والقسم الثاني تقسيم البيوت من الداخل، والقسم الثالث سقف البيت النوبي من القباء او الجريد ، وكما تناول الباحث في هذا البحث مصطلحات البحث والتعريف الإجرائي للباحث، الاستراتيجية المنهجية للبحث، والدراسات السابقة، وفي نهاية البحث يعرض الباحث النتائج والتوصيات .

Abstract:

This research deals mainly with the Nubian architecture, it explains the Nubian architecture that reflect their culture. Nubian architecture related with popular culture and with customs and cultural traditions , architecture based

* طالب دكتوراه بمعهد البحوث و الدراسات الافريقية و دول حوض النيل، جامعة أسوان
** أستاذ دكتور، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ودول حوض النيل، جامعة أسوان.
*** أستاذ دكتور، ورئيس قسم الأنثروبولوجيا، كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة.
**** دكتور، قسم الأنثروبولوجيا، كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة.

on independent symbols . The research was aimed to identifying the role of Nubian architecture in maintaining Nubian identity. The researcher hypothesized that there was a relationship between Nubian architecture and Nubian identity. This research is considered in three sections. In the first section, shapes of the house from outside . In the second section , inside dividing houses . In the third section, ceiling of the Nubian house with cellars and leaf . The researcher also take up search terms , researcher procedural definition , research methodological strategy and Previous studies. At the end of the research, researcher presents the recommendations and results.

الكلمات المفتاحية : العمارة النوبية ، الهوية النوبية .

١- مقدمة Introduction :

المسكن من الموضوعات الهامة التي كانت وما زالت محوراً رئيسياً في الانثروبولوجيا ويرجع اهتمام الانثروبولوجيا الثقافية بدراسة المسكن، حيث انه لا يتم بناء المسكن بشكل عشوائي ولكنه يتم وفقاً للثقافة الخاصة بالمجتمع وللتعبير عن المعاني الخاصة بتلك الثقافة، المسكن النوبي هو احد الانساق المادية التي تعبر عن الثقافة النوبية من خلال تعبيرات تتخذ اشكالا مختلفة تؤثر علي نواحي عديدة لهذه الاطر فيما يشمل كلاً من تصميمها ووظائفها والمعاني التي ينقلها، وخاصة ان المسكن يمثل اهمية كبيرة في ثقافة الشعوب باعتباره هو الجانب المادي من ثقافة تلك الشعوب . ومن هنا جاء الاهتمام بالثقافة النوبية وأثرها على الهوية النوبية .

٢- مشكلة البحث research problem :

بلاد النوبة هي تلك البقعة الوعرة من النيل التي تبدأ عند شلال اسوان (١) شمالاً وتنتهي جنوباً قبل الخرطوم ،اي مقسمة بين مصر والسودان .وتعد منطقة النوبة معبرا برياً وبحرياً بين شمال وجنوب وادي النيل(٢) ولعبت المؤثرات الحضارية كالفرعونية، والإسلامية، والمسيحية في تشكيل العمارة النوبية بما تحمله من دلالات ورموزاً هاماً دوراً جعلتها تبدو كلوحات فنية لما تحويه من تناسق بنيانها وزخرفة جدرانها بالرسوم المختلطة والألوان الزاهية. لتصبح شهرة البيت النوبي عالمية يلجأ إلى تصميمها عشاق التجديد بدءاً من المعماري المصري الراحل "حسن فتحي"، الذي استمد بعض أفكاره من هذا الطراز، وانتهأً بالمعماري الأمريكي الشهير "مايكل جريفث"، مصمم مدينة الجونة المصرية بالبحر الأحمر على الطراز النوبي. تعددت مظاهر التأثير الفرعوني في الفن النوبي، ومن أمثلة ذلك في ما نجده في الأشكال البارزة الموجودة في الحوائط وأيضاً السقف ذي القبو الأسطواني، والجمع بين الأشكال التعبيرية واللغة المكتوبة، ناهيك عن تصميم البوابات النوبية التي توسطها لدائرة على شكل قبة، وهو أم رسماً شكل دائري سواء أكان صحناً لرسم قرص الشمس المجنح

(١) مرفت شانلي هلاي(1998): اثر البيئة على اعمال المصورين المعاصرين ،رسالة ماجستير ،كلية الفنون الجميلة ،جامعة حلوان ص2.

(٢) ثروت متولي خليل (1990): التصميم الداخلي في المجتمع النوبي بما يتفق مع البيئة ، رسالة دكتوراه، كلية الفنون التطبيقية ، جامعة حلوان ،ص15.

الفرعوني الذي تشتهر^١ ما يُعد تحويراً به الحضارة الفرعونية. فضلاً عن استخدام طائر "أبو قردان" الذي في الزخارف النوبية، وكان رباً من يعد من أكثر الطيور ظهوراً الأرباب الفرعونية المشهورة. أما الحيوانات الأخرى المستخدمة كالأسود والقطط، والتماسيح _ سواء المرسومة على الجدران أو المحنطة، ففي الماضي كان النوبيون يحنطون التماسيح ويلقونه فوق أبواب بيوتهم كتميمة لجلب الرزق والحظ السعيد بالإضافة لأن صيد التماسيح كان درياً من دروب استعراض الشجاعة والقوة _ كانت جميعها مقدسة عند الفراعنة وتظهر بوضوح على مداخل المعابد والقصور القديمة. في التأثير بارزاً على الجانب الآخر، لعبت الحضارة المسيحية دوراً على الزخارف النوبية وهو ما تجلى في كثرة استعمال النجمة المكونة من مثلثين متقاطعين والقرون والمحار وأصداف البحر في أغلب المنازل النوبية. فضلاً عن استخدام القباب فوق المنازل بقباب الكنائس، بجانب استخدام الدوائر الزخرفية التي تأخذ تشبهاً شكل زهرة عباد الشمس أو بعض أشكال الصليب القبطي ورسوم السمك والطيور وسعف النخيل ، وكان نهر النيل هو كل شيء بالنسبة لسكان النوبة وترتبط حياتهم به ارتباطاً وثيقاً ، وعليه يعتمدون في شؤون معاشهم^(١) .

(١) ثروت متولي خليل (1982): الاستفادة من التراث النوبي في التصميم الداخلي للمنشآت السياحية بأسوان، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، ص7.

كان لدخول الإسلام في بلاد النوبة أثره الواضح في مظاهرٍ أخيراً الحياة بها والذى أثر بدوره في الفن النوبي وهو ما تجلّى في الاهتمام برسم المثلثات وتكرارها في أغلب رسومات المنازل النوبية، فالمثلث يمثل في الفكر الإسلامي السمو والعلو، فضلاً عن استخدام الهلال _ أحد أشهر الرموز الإسلامية _ على جدران المنازل النوبية . وعلى الرغم من تأثر الفن النوبي بالمؤثرات الحضارية المختلفة، إلا أنه انفرد ببعض الرموز والدلالات التي ميزت المجتمع النوبي حتى الآن، كاستخدام "الأطباق الملونة" بوضعها فوق الأبواب للدلالة على الخير وكرم الضيافة وأن هذا المنزل مفتوح للجميع في أي وقت. بالإضافة لاستخدام "حدوة الحصان" والتي كانت تدل على التقاؤل وجلب الحظ، ورسومات "الكفوف الملونة" التي ترمز للعمل والسلام، مع التأكيد على واحدة من أهم المهن لدى النوبيين وهي "الحرف اليدوية". كما تضم الزينة النوبية المعلقة على الجدران داخل وخارج المنزل مكانس يدوية من ليف النخيل، أو المراوح الصغيرة ذات اللون الأخضر والأحمر والأرجواني والبرتقالي، وكانت تستخدم تلك المكانس الصغيرة في كنس الأرضيات الطينية، بالإضافة إلى أعلام صغيرة مربعة منسوجة ذات مقبض قوي، وهي تستخدم كمراوح أو لطرد الذباب، وكانت تعلق على الجدران لجمال مظهرها . على الجانب الآخر، يتميز البيت النوبي بألوانه المميزة المستمدة من الطبيعة، وهي ألوان فاتحة منها الأحمر المستمد من الجبال، والأخضر من النخيل، والأصفر من الرمال، إلا أن أشهرهم "اللون الأزرق" والذي يمكن تبريره بكثرة ارتباط

أهالي النوبة بنهر النيل _ رسومات "المراكب" شريان حياة أهل النوبة_ وهو ما يفسر أيضاً التي تملء جدران المنازل النوبية. فعلى الرغم من مرور عصور طويلة على الحضارة النوبية منذ الملك الفرعوني النوبي "كوش" وحتى وقتنا هذا، ما زال النوبي يحاول الحفاظ على سمة منزله الأصلية في الزخرفة والألوان والمعمار الفريد، ليبقى شاهد ودليل على قدرة اهل النوبة في صنع البهجة بفطرة فنية سليمة.

ويمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال التالي :

هل للعمارة النوبية دور في الحفاظ على الهوية النوبية ؟



صورة رقم (١)

القائم بالتصوير: الباحث

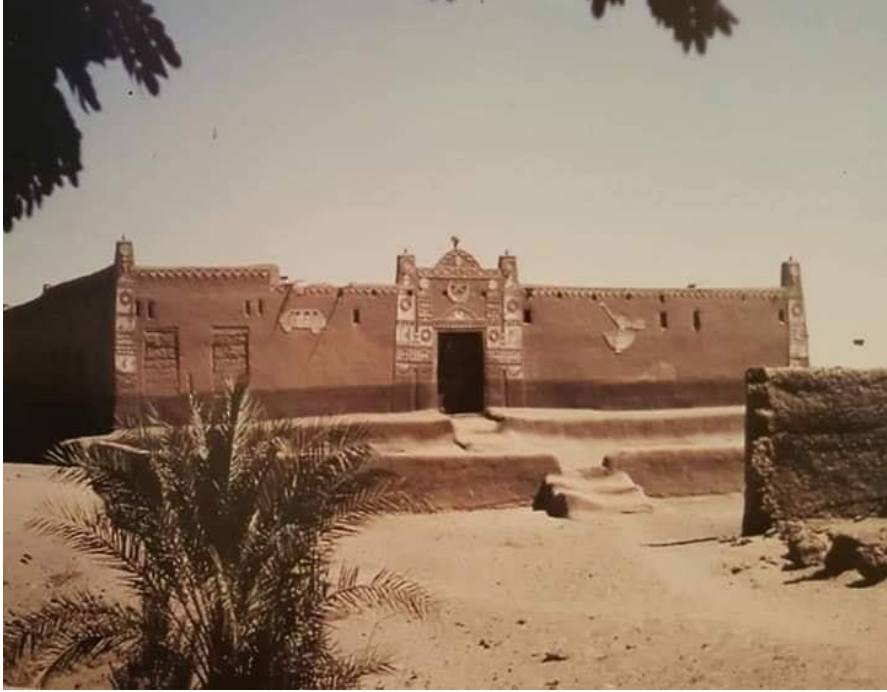
مكان الصورة : مقابر النبلاء بقرية غرب اسوان

تاريخ الصورة : ٣٠٢٠/٩/٤ م

وصف (مكونات) الصورة : اثر فرعوني من مقابر النبلاء الاسرة الثالثة عشر

محتوى الصورة :

تبين الصورة كيف كان الفراغة بينون القبوة وهى عبارة عن قبوتين فوق بعضهما بينهما مسافة مترين تقريباً وهى عبقرية هندسية حيث بذلك تكون هناك حماية اكبر من اشاعة الشمس كما ان الفراغ بين القبوتين يتكون به الهواء الرطب، وبنيت القبوتين من الطوب اللبن (النى) المصنوع من الطمى بطريقة معينة، والحوائط تم بناؤها من الطوب (الدبش) وهو طوب من الجبال القريبة للمنطقة، وتظهر الرسوم الفرعونية على الجدار واسفلها يوجد فتحة بعرض متر وارتفاع متر ونصف تستخدم لإيقاد النار للتدفئة في الشتاء وهى الطعام ، ويوجد فتحة اخرى تسمى ب (طاقة) مستطيلة بعرض ٤٠ سم وطول ٦٠سم ، يوضع بها مصباح الزيت للإنارة ليلاً، وقد بينت الصورة مدى تمسك النوبيين بثقافة بناء القباء منذ عهد الفراغة حتى الان، وهذا مؤشر على الحفاظ على الهوية النوبية .



صورة رقم (٢)

القائم بالتصوير: الباحث

مكان الصورة : قرية غرب اسوان

تاريخ الصورة : ٢٠٢٠/١١/٣ م

الصورة احد البيوت النوبية التي تُبنى من الطين والجريد، وهو ما يميزها عن غيرها، وتأتي فكرة بناء هذه البيوت، من الفراعنة، هذه البيوت خالية من الأمراض، حيث يستخدمون أدوات في بناءها من الطبيعة.

وداخل كل منزل هناك فتحات للتهوية في الأعلى، وعندما يأتي الشتاء يقومون بغلق تلك الفتحات لمنع دخول الهواء، وهو ما جعلهم لا يحتاجون إلى أجهزة مكيفة بتلك المنازل.

كما تبين الصورة ان هذا منزل نوبي تم الانتهاء من بناءه وتبين الصورة اتساع المنزل بشكل افقى وواجهة المنزل بها مصطبة للجلوس عليها للحديث والسمر تعلوها شباكين خاصين بغرفي الضيوف (المضيفة) ، كما يتبن من الصورة ان الواجهة بها المدخل الرئيس للمنزل، وتوجد اشكال ورسومات فوق باب المنزل، حيث نلاحظ وجود الهلال وبداخلة صدفة خماسية والهلال يرمز للثقافة الاسلامية، والصدفة ترمز لمنع الحسد والتفاؤل، كما نلاحظ وجود شكل الاطباق على حافتي المدخل وهذا دليل على الكرم الذى تميز به اهل النوبة، كما تظهر الصورة تقسيمة المنزل حيث المدخل يؤدي الى صحن المنزل المتسع وعلى شمال المدخل المضيفة وغرف الاعاشة التي تتميز بارتفاعها نسبيا، وعلى يمين المدخل غرف الخزين، الخبيز او صناعة الخبز، حضيرة لتربية الطيور وبعض المواشي والاغنام، ودورة المياه

٣- فرض البحث Research Hypothesis :

توجد علاقة بين العمارة النوبية والهوية النوبية .

٤- اهداف البحث: Objectives Of The Research

يهدف البحث الحالى الى:

- التعرف على دور العمارة النوبية في الحفاظ على الهوية النوبية .

٥- حدود البحث Research borders:

يقتصر البحث الحالى على

١- يقتصر هذا البحث على شكل البيوت من الخارج والداخل سقف البيت .

٢- تحليل بعض الصور الفتوغرافية التي تبين العمارة النوبية .

٦- الاستراتيجية المنهجية للدراسة Methodology Of The Study

١- نوع الدراسة : دراسة انثروبولوجية

ب- المناهج المستخدمة في الدراسة

يتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، ويشمل على دراسة ما يلي :

١- العمارة النوبية من خلال شكل البيوت من الخارج والداخل سقف البيت.

٢- تحليل بعض الصور الفتوغرافية التي تبين الزخارف النوبية.

٣- جماليات الزخارف النوبية.

(٢) المنهج التاريخي

وقد استعان الباحث بالمنهج التاريخي لمعرفة اشكال التراث الثقافي المادي داخل

المجتمع النوبي، حيث ساعد هذا المنهج الباحث في التعرف علي شكل المسكن النوبي

في الماضي والحاضر، وايضاً ساعد المنهج التاريخي الباحث في التعرف علي

الاحداث التاريخية التي مر بها المجتمع النوبي وكانت محور تغير الكثير من عناصر

التراث الثقافي مثل بناء السد العالي والتهجير، وبناء علي ما سبق جاءت اهمية

استعانة الباحث بالمنهج التاريخي لما له اهمية كبيرة في الدراسات الانثروبولوجية .

٧- ادوات البحث : Research tools

أ- الملاحظة

وذلك للتأكد من صدق المعلومات التي يحصل عليها الباحث من الاخباريين ،
فقد كانت للملاحظة دورا كبيرا في هذه الدراسة حيث استطاع الباحث من خلالها معرفة
مدي تمسك افراد المجتمع بالتراث الثقافي المادي مثل التمسك بشكل البيت النوبي ،
وايضاً ملاحظة سلوكيات افراد المجتمع في المناسبات الثقافية التي تدل علي الحفاظ
علي تراثهم الثقافي .

ب- التصوير الفوتوغرافي :

ان التراث المادي الظاهر والملموس لابد من تصويره لتوضيح الجوانب المميزة
لهذا التراث والتي تعبر عن هوية وشخصية المجتمع النوبي، ومن هنا جاء استعانة
الباحث لاهم ادوات البحث الأنثروبولوجي وهو التصوير الفوتوغرافي.

٨- مصطلحات البحث : Search terms

العمارة النوبية:

العمارة النوبية ذات الطابع الشعبي وتحمل دلالات رمزية متنوعة اجتماعية
وثقافية وبيئية بحيث يكون الشكل المرسوم قريباً من الحياة اليومية للنوبي، كما ان كثير
من العمارة النوبية تبدو بسيطة للوهلة الاولى الا انها تحمل عمق التاريخ وأصالته .

التعريف الإجرائي للعمارة النوبية :

- العمارة النوبية هي شكل البيوت من الخارج .

- العمارة النوبية هي شكل البيوت من الداخل .

- العمارة النوبية هي سقف البيوت من القباء او الجريد .

الهوية اصطلاحاً :

فتعرف الهوية بأنها مجموعة من المُميزات التي يمتلكها الأفراد، وتساهم في جعلهم يحققون صفة التفرّد عن غيرهم، وقد تكون هذه الميزات مشتركة بين جماعة من الناس سواء ضمن المجتمع، أو الدولة. ومن التعريفات الأخرى لمصطلح الهوية أنّها كل شيء مُشترك بين أفراد مجموعة محددة، أو شريحة اجتماعية تساهم في بناء محيط عام لدولة ما، ويتم التّعامل مع أولئك الأفراد وفقاً للهوية الخاصة بهم^(١).

الهوية هي محصلة لمجموعة من العلاقات والدلالات التي يضع فيها الفرد لنفسه نطاقا يشكل في إطاره هويته، بحيث تتوفر له من جراء ذلك إمكانية تحديد ذاته داخل الوسط الاجتماعي الثقافي الذي يعيش فيه، باعتباره نظاما مرجعيا على مستوى السلوك"^(٢).

التعريف الإجرائي للهوية :

- الهوية هي مجموعة العلاقات .

- يستطيع الفرد من خلالها تحقيق ذاته .

1):<http://www2.gsu.edu/~wwwaus/AI-Khaki2009.pdf>

^(٢) الكحكي، عزة مصطفى : تعرض الشباب العربي لبرامج تلفزيون الواقع بالفضائيات العربية وعلاقته بمستوى الهوية لديهم، ص ٤ .

٩- الدراسات السابقة : Previous studies

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع العمارة النوبية وتناولته من زوايا مختلفة، وقد تنوعت هذه الدراسات من العربية والاجنبية، وسوف يستعرض هذا البحث الدراسات التي تم الاستقادة منها مع الاشارة الى ابرز ملامحها، مع تقديم تعليق عليها يتضمن جوانب الاتفاق والاختلاف وبيان الفجوة العلمية التي يعالجها البحث الحالي.

الدراسة الاولى (١) :

دراسة عمر كمال الدين الطيب (٢٠١٠) بعنوان : القيم الجمالية في زخارف العمارة الشعبية النوبية "رسالة ماجستير غير منشورة" ، كلية القانون الجميلة ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا بالسودان .

وقد قامت الدراسة لتحقيق مجموعة من الاهداف وهي

١-تتبع مصادر وتطور الزخارف في العمارة الشعبية النوبية .

٢- دراسة خامة اللون .

٣-دراسة اثر الثقافات العربية والافريقية علي العمارة النوبية.

(١) الطيب ، عمر كمال الدين (٢٠١٠) : "رسالة ماجستير غير منشورة" ، كلية القانون الجميلة ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا بالسودان ، القيم الجمالية في زخارف العمارة الشعبية النوبية .

٤-دراسة اثر الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية والظروف البيئية علي تكوين العمارة النوبية.

وقد اعتمدت الدراسة علي عدد من المناهج والأدوات تمثلت في :

١-المنهج الوصفي التحليلي

٢-المنهج التاريخي

وقد توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج وهي :

-ان حب النوبي لبلاده جعلها ذات قدسية وجعل منها مركزا فنيا خالصا .

مدي الاستفادة من هذه الدراسة

١-التعرف علي العمارة التي شكلت الهوية الثقافية النوبية .

٢- التعرف علي التأثيرات المختلفة التي اثرت علي شكل العمارة النوبية التقليدية .

مدي الاتفاق والاختلاف بين الدراسة السابقة والدراسة الحالية :

الاتفاق

١-يتمثل في الاهتمام بدراسة العمارة النوبية المميزة

٢-المنهج المتبع في الدراستين متشابهين

الاختلاف في طبيعة الهدف الرئيسي من الدراسة .

دراسة الثانية (١)

(١) امبابي، محمد كمال (٢٠١٥) : تطور فن العمارة في النوبة المصرية والسودانية عبر العصور الاسلامية ، دراسة ميدانية مقارنة في الانثروبولوجيا الثقافية .

دراسة امبابي، محمد كمال (٢٠١٥) بعنوان : تطور فن العمارة في النوبة المصرية
والسودانية عبر العصور الاسلامية (دراسة ميدانية مقارنة في الانثروبولوجيا
الثقافية)

وهدفت الدراسة الى

-التعرف علي العمارة النوبية التي شكلت الهوية الثقافية النوبية .

التعرف علي التأثيرات المختلفة بين الماضي والمعاصر التي اثرت علي شكل العمارة
النوبية التقليدية .

أوجه الاتفاق بين الدراسة السابقة والدراسة الراهنة

ان كلا الدراستين تناولت دراسة الثقافة

أوجه الاختلاف بين الدراسة السابقة والدراسة الراهنة :

الدراسة الراهنة تناولت دور الثقافة النوبية في الحفاظ علي الهوية، اما الدراسة السابقة
تناولت عن تطور فن العمارة في النوبة المصرية والسودانية عبر العصور الإسلامية .

١٠ - النتائج والتوصيات : Recommendations and Results

أولاً: النتائج

نتج عن هذه الدراسة من خلال البحث الحالي مجموعة من النتائج ترتبت عن الدراسة
النظرية، تحدد تلك النتائج العمارة النوبية وجمالياتها ومدلولاتها الثقافية .

١- دراسة وتحليل لبعض العمارة النوبية التي تعكس الثقافة النوبية ولها تأثير على الحفاظ على الهوية النوبية .

٢- ان النوبة لها تأثيرها القوي على الباحثين الانثروبولوجيين بالإضافة الى ان اختفاءها السريع بصورة تراجيدية كان مثيراً اكثر للباحثين فاصبح كل باحث يبحث في داخله عن النوبة ويعبر عنها من خلال الاخباريين، ومن هنا اصبحت النوبة موجودة رغم غرقها .

ثانياً: التوصيات :

من خلال الدراسة التي قام بها الباحث تكونت لديه مجموعة من التوصيات للدارسين للباحثين في مجال الانثروبولوجيا تتلخص فيما يلي :

- التوسع في البحوث التجريبية للاستفادة من الموروث الثقافي والحصاري للنوبة لأثراء المجال في الانثروبولوجيا .

- الاستفادة من النتائج التي توصلت اليها الدراسة الحالية .

١١- المراجع : References

(١) مرفت شاذلي هلالى⁽¹⁹⁹⁸⁾: اثر البيئة على اعمال المصورين المعاصرين ،رسالة ماجستير ،كلية الفنون الجميلة ،جامعة حلوان .

(٢) ثروت متولي خليل⁽¹⁹⁹⁰⁾: التصميم الداخلي في المجتمع النوبي بما يتفق مع

البيئة

رسالة دكتوراه، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان .

(٣) —: الاستفادة من التراث النوبي في التصميم الداخلي للمنشآت السياحية

بأسوان، رسالة ماجستير ،كلية لفنون التطبيقية ،جامعة حلوان .

(٤) محمد كمال امبابي (٢٠١٥) : تطور فن العمارة فى النوبة المصرية والسودانية

عبر العصور الاسلامية ، دراسة ميدانية مقارنة في الانثروبولوجيا الثقافية .

(٥) عمر كمال الدين الطيب(٢٠١٠) : القيم الجمالية في زخارف العمارة الشعبية

النوبية "رسالة ماجيستير غير منشورة "، كلية القانون الجميلة ، جامعة السودان للعلوم

والتكنولوجيا بالسودان .

(٦) عزة مصطفى الكحكي : تعرض الشباب العربي لبرامج تلفزيون الواقع

بالفضائيات العربية وعلاقته بمستوى الهوية لديهم، د. ن .